

من هذا قالوا: المسيح الدجال".
(صحيح البخاري، كتاب الرؤيا)
ثم إنَّ تصنيف هذا الحديث في صحيح البخاري في كتاب الرؤيا، يلفت النظر إلى أنَّ إخبار الله تعالى للرسول الكريم محمد ﷺ عن الدجال وخروجه قد كان عن طريق الرؤى الصادقة التي يُطَّلَعُ الله من خلالها رسله على ما يشاء من الغيب.

وكذلك يتبيّن من قصّة تميم الداري في حديث رسول الله ﷺ أنها لا يمكن أن تكون إلا رؤيا، وذلك بدلائل وبراهين سنينها في موضعها من هذا الكتاب، حين تكشف النقاب عن حقيقة مفهوم الدجال وبيان كيف أنه آية من آيات الله عز وجل.

وثمة المزيد أيضاً من الأحاديث الصحيحة التي تؤكد أنَّ الرسول ﷺ قد علم خروج الدجال وفتنه من خلال الرؤى الصادقة، ولكن يكفينا - تحبباً للإطالة - هذا الحديث الصحيح للبرهان على أنَّ رسول الله ﷺ قد حدثنا عن المسيح الدجال وفتنه من خلال ما أوحى الله إليه في الرؤيا الصادقة لينذر أمته ويحذّرهم من شرٍّ أشدَّ الفتن التي هي فتنة المسيح الدجال.

التعليم القرآني في سورة يوسف
وليس من المستغرب في سير الأنبياء أن يُطلعهم الله على الغيب عن طريق

التعليم القرآني في تأويل النبوءات

بقلم الأستاذ: محمد منير إدلسي *

يتبيّن من خلال دراسة بحث المسيح الدجال في أحاديث سيدنا رسول الله ﷺ أنَّ الله تعالى قد أطلع محمداً عليه الصلاة والسلام على الأحداث المستقبلية المتعلقة بخروج الدجال من خلال الرؤى الصادقة، كما روى هو ﷺ ذلك، حيث نقرأ ألفاظه التي تشير إلى رؤياه في أحاديثه تلك إذ يقول:
" .. وأراني الليلة عند الكعبة في المنام .. ثم رأيت وراءه رجلاً جعداً .. فقلت



* كاتب من سوريا

القرآني في تأويل الرؤى، فيستطيع الناس عندئذ أن يهتدوا بهداياتها الحقة التي لا خرافة فيها ولا منافاة للعقل والمنطق السليم.

وتأكيداً للإيضاح ندرس رؤيا يوسف عليه السلام وكذلك تأويلها على ضوء بيان القرآن الكريم.

يقول ربنا تبارك وتعالى عن تلك الرؤيا: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾.

تشير هذه الرؤيا إلى مشهد واضح أراد الله أن يطلع - من خلاله - نبيه يوسف على بشارة مستقبلية تتعلق به وبأهله وبدعوته. وسنرى فيما إذا كان يمكننا موافقة المصرين على الأخذ بحرفية رؤى الأنبياء أم يستحيل ذلك.

إذا كانت الحرفية هي الأساس الذي يجب أن نبني عليه فهمنا لهذه الرؤيا، فهذا يعني أن كل كلمة أو صورة فيها يجب أن تتحقق بشكل حرفي مادي، وهذا يعني أن ما يجب أن يحصل في المستقبل هو: أن يرى يوسف عليه السلام نفسه قد كبر وكبر في الحجم حتى صار عملاقاً كونياً يفوق في حجمه المجموعة الشمسية بكاملها، ثم

وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧﴾ (الآية ٧)

وهكذا القرآن الكريم يُعلِّمنا أن نتأكد من أن إحدى طرق الوحي للأنبياء هي الرؤيا الصادقة التي لا بدت من التصديق بها. ولكن السؤال الهام والهام جداً هنا هو: هل يلزمنا التعليم القرآني بالأخذ بحرفية هذه الرؤى، أم أنه لا بدت من التأويل الصحيح لها إذا كانت حرفيتها تتناقض مع الأسس العقلية والعلمية للمنطق البشري السليم؟

القرآن مؤسس علم التأويل

حين نقرأ في القرآن الكريم تفسير رؤيا يوسف نجد أنه، بكل بساطة ووضوح، يرفض الحرفية رفضاً باتاً، ويؤيد منطق التأويل الصحيح الذي يبينه العالمون بتأويل الرؤى الصادقة، التي أطلق عليها القرآن الكريم مصطلح "تأويل الأحاديث". وبذلك يكون القرآن الكريم ذاته هو المؤسس العظيم لعلم تأويل الرؤى الصادقة، باعتبارها مصدراً من مصادر الوحي للأنبياء، والتي لا بدت أن تُفهم على ضوء الأساس

الرؤى الصادقة، إذ نقرأ في القرآن الكريم ما أخبرنا به الله عز وجل عن النبي يوسف عليه السلام الذي أراد أن يبشره بالنبوة وتمام النعمة، وأن أباه وأمه وإخوته سيتبعون هديه ويصدقون بدعوته، وأن شأنه سيعلو في البلاد والعباد، فيبين لنا الله تعالى في القرآن الكريم أنه عندما أراد أن يُخبر يوسف بتلك الأنباء الغيبية العظيمة، أطلعه على ذلك من خلال الرؤيا، ولكن ماذا كانت تلك الرؤيا وكيف تحققت؟ نقرأ في القرآن الكريم إخبار يوسف لأبيه عن رؤياه، حيث يقول تعالى في سورة يوسف:

﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ (الآية ٥)

علم أبوه النبي خطورة وأهمية النبوة المستقبلية في رؤياه فنصحها بكتمانها: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (الآية ٦) ثم بشره من خلال علمه بتفسير الرؤى الصادقة وقال له:

﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ

” إذا كانت الحرفية هي الأساس الذي يجب أن نبني عليه فهمنا لهذه الرؤيا، فهذا يعني أن كل كلمة أو صورة فيها يجب أن تتحقق بشكل حرفي مادي، وهذا يعني أن ما يجب أن يحصل في المستقبل هو: أن يرى يوسف عليه السلام نفسه قد كبر وكبر في الحجم حتى صار عملاقاً كونياً يفوق في حجمه المجموعة الشمسية بكاملها... “

يجد أنه يستطيع -بالإضافة إلى ذلك- أن يقف في فضاء الكون بشكل ما حتى تتمكن الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً من السجود عند قدميه، وبذلك تكون الرؤيا الصادقة التي أوحى الله بها إليه قد تحققت كاملة وبجرفيتها! فهل ثمة عاقل واحد في الكون يستطيع أن يقبل إمكانية هذا التحقق الحرفي لرؤيا النبي يوسف عليه السلام مجرد الاعتقاد بأن رؤى الأنبياء وحي صادق من الله تعالى؟!

ثم لماذا لا نأخذ بتعليم القرآن الكريم ذاته في هذا الشأن، ونسأل أنفسنا هل أراد الله بتعليمه لنا في هذه السورة أن نُصرّ -مع المُصرّين- على حتمية الأخذ بحرفية رؤى الأنبياء مهما خالف ذلك العقل والمنطق السليم؟ حتماً لا.

فلقد بين لنا ربنا عز وجل تأويل الرؤيا في كتابه المجيد ذاته، وأكد أنه كان لا بد من فهم تلك الرؤيا الصادقة بتأويلها السليم، وإلا فإنها ستكون مجرد خرافة باطلة لا هُدًى فيها ولا تعليم؛ فماذا كان التأويل القرآني لتلك الرؤيا؟ يقول القرآن الكريم:

﴿وَرَفَعَ أَبُوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا...﴾ (يوسف: ١٠١)

قبل أن نعمد إلى بيان التفسير القرآني لهذه الرؤيا يفيدنا أن نلفت النظر إلى

رموز مادية معينة استخدمها القرآن الكريم ليشير بها إلى حقائق روحية هامة. من هذه الرموز: (الشمس). ١. الشمس. ٢. القمر. ٣. أحد عشر كوكباً. ٤. سجود الكواكب ليوسف عليه السلام. والآن ما هي العناصر المقابلة في التأويل بحسب ما جاء في القرآن الكريم؟ يقول تعالى:

﴿وَرَفَعَ أَبُوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا﴾

فما هي العناصر المقابلة للرؤيا هنا؟ (١) مقابل الشمس نجد النبي يعقوب. (٢) ومقابل القمر نجد أم يوسف التي هي زوج النبي يعقوب وهي التي تدور في فلك زوجها كالقمر وتعكس أنواره. (٣) ومقابل الأحد عشر كوكباً نجد إخوة يوسف الأحد عشر الذين يدورون في فلك والديهم.

وأما السجود فيعني الطاعة والاتباع كما في قوله تعالى:

﴿وَالنَّجْمِ وَالشَّجَرِ يَسْجُدَانِ﴾ (الرحمن: ٧)

وهذا يعني الخضوع التام لهذه المخلوقات وغيرها لأمر الله عز وجل.

وهكذا لا نرى سجوداً للشمس أو القمر أو النجوم عند قدمي يوسف، فقد كانت الشمس في الرؤيا ترمز إلى والد يوسف النبي يعقوب باعتباره نور

وحين نذكر قول الله تعالى في وصفه لرسوله الكريم محمد ﷺ: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٧) نجد أن رسول الله ﷺ هو أيضاً الشمس في سماء الدين، وأن علماء الدين من أصحابه هم النجوم الذين يدورون في فلكه، لذا فقد وصفهم هو ذاته في حديثه الشريف بالنجوم، حيث قال:

"إنّ مثل العلماء في الأرض، كمثّل النجوم في السماء". (عن أنس في مسند الإمام أحمد).

وقد ورد عن رسول الله قوله: "أصحابي كالنجوم" (البيهقي).

وهكذا يكون النبي شمساً في سماء الدين، وأصحابه الذين يدورون في فلكه نجومًا.

بهذه المفاتيح القرآنية نستطيع فهم بيان النبوة في رؤيا يوسف عليه السلام. ولكي نفهمها بسهولة أكثر، يفيدنا أن نلاحظ وجود عناصر معينة في الرؤيا

” **الرؤيا إذن تشير إلى وصول يوسف إلى مرتبة النبوة بفضل الله تعالى الذي اجتباه وأتم نعمته عليه. كما تشير إلى قبول والدي يوسف وإخوته لدعوته واتباعهم إياه مصدقين مؤمنين بعد أن جعله الله نبياً يدعو إلى عبادته وحده.** “

الأخذ بالأفهام الخرافية والخرافية للنص الديني سواء في أحاديث سيدنا رسول الله محمد ﷺ أو في القرآن الكريم، وسواء فيما يتعلّق بخروج المسيح الدجال وانتشار فتنته، أو غير ذلك من النبوءات النبوية الشريفة.

١ - يمكنك - عزيزي القارئ - أن تطّلع على قضية الرموز هذه في كتابنا " أبناء آدم من الجن والشياطين " بشكل أوسع.

٢ - وكذلك يُمكن فهم رؤيا عزيز مصر حول البقرات والسنابل، فقد كانت تشير إلى نبوءة تتعلّق بسنوات الخصب والجفاف التي كانت تنتظر مصر؛ ولم يكن التأويل القرآني حرفياً كما هو معلوم جيّداً. ولقد جاء في رؤياه أنه قال: ﴿إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات﴾ ويوضّح التأويل القرآني أنّ هذه الرؤيا الصادقة لم يكن لها علاقة بالبقر من قريب أو بعيد.

على غيب المستقبل، كما تُبيّن الخطأ الكبير في الإصرار على أخذ جميع النصوص الدينية بالحرفية فتجعل منها خرافة تدعو إلى النفور من الدين بدل قبوله والتصديق به.

ومن الناس مَنْ يُكفّر الدعوة المتفكرين الذين يؤمنون بأنه لا يمكن وجود أي تناقض أو تعارض بين العقل والعلم من جهة، ودين الله الحق من جهة أخرى؛ وتكون دعوى هؤلاء المكفّرين بأن عدم الأخذ بحرفية النص، مهما كان مؤداها، إنما هو تحريف للدين وخروج عنه واعتداء عليه وعلى المؤمنين به؛ ولذلك هو في نظرهم كفر ميين.

وهكذا فإنّهم بإصرارهم هذا يجيلون الكثير من الكنوز المعرفية في النصوص الدينية إلى خرافات باطلة يرفضها العقل البشري السليم بجميع صورها وأشكالها، ويمجّدون الفكر والحضارة العربية والإسلامية في إسمنت الأفهام الذاتية المغلقة على ما سلف بعجزه وبجزه، ويكبحون التفكير والإبداع الباني للحضارة الفكرية والتقدّم العلمي والحضاري الواعي الذي يجب أن يُبنى على يقين أنّ القرآن هو كلام الله، والكون هو فعله، ولا يمكن، مطلقاً، أن نجد أيّ تناقض بين كلام الله وفعله. ومن هنا يمكن الانطلاق السليم للتغلّب على التخلف الفكري والعقلي والعلمي والحضاري الناشئ عن الإصرار على

الله في قومه؛ والقمر يرمز إلى أمته التي تستمد نور إيمانها من زوجها النبي؛ وأمّا النجوم الأحد عشر فقد كانت ترمز في الرؤيا إلى إخوة يوسف الأحد عشر الذين كانوا يدورون في فلك أبيهم النبي؛ وذلك مصداقاً لحديث عن رسول الله ﷺ أورده الإمام أحمد في مسنده، يقول:

"مثل العلماء في الأرض، كمثل النجوم في السماء".

كانت الرؤيا إذن تُشير إلى وصول يوسف إلى مرتبة النبوة بفضل الله تعالى الذي اجتباه وأتم نعمته عليه. كما تُشير إلى قبول والدي يوسف وإخوته لدعوته واتباعهم إياه مصدقين مؤمنين بعد أن جعله الله نبياً يدعو إلى عبادته وحده.

وعوداً إلى الآيات من بدايتها نقرأ توبة إخوة يوسف وقولهم لأبيهم: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ* قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ* فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ أَوَى إِلَيْهِ أَبُوئِهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِينَ* وَرَفَعَ أَبُوئِهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا...﴾ (يوسف: ٩٨ - ١٠١)

إنّ هذا البيان القرآني الواضح يبيّن بكلّ تأكيد أنّ الله عزّ وجلّ قد استخدم الرمز في الرؤيا لإطلاع نبيّه